لاموع يسوع

القراءة: لوقا ٢٢:٣٩-٤٤؛ عبرانيين ٥: ٧
التاريخ: ١٩٨٣/١/٣٠

«وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلاَمِيذُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ.

الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ.»

يذكر الكتاب المقدس أنّ يسوع بكى ثلاث مرات، ولم يذكر أنه ضحك مرة واحدة. ولو كان شخصًا عاديًا لكان بكاؤه عاديًا، لكنّ بكاء العظماء أمر عظيم. عندما يبكي يسوع الذي جاء لكي يُدخل البهجة والفرح إلى قلوب الناس، فلا بد من أنّ الأمر يستحق أن نتوقّف عنده. بكى من جاء لكي يكفكف الدموع، ويجبر كسر القلوب. فلماذا بكى يسوع؟

١ • ***بكى يسوع عند قبر لعازر***. لأنه رأى ما فعلته الخطية بالإنسان. هذا الإنسان الذي خلقه يسوع مَنْ «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يوحنا ١:٣). خلقه لكي يعيش سعيدًا فرحًا وضاحكًا. والآن يتأمل ما فعلت به الخطية، وكيف شوّهت هذه الصورة وأسقطت الإنسان إلى هذا المقام الدنيء. رأى يسوع مريم ومرثا والناس يبكون، فبكى، إذ رأى كيف أنّ الخطية أدخلت الحزن إلى قلوب الناس. فلولا الخطية ما وُجد الموت، ولا وُجد الفراق ولا الدموع. الناس يسعون وراء السرور والفرح، لكن الفرح يهرب والدموع تلاقي الإنسان في طريقه حيثما سار. فهو يضحك يومًا ويبكي شهرًا. إننا نعيش في وادي البكاء والدموع. وإن كنت ترى الناس أحيانًا وكأنهم فرحون، يقهقهون عاليًا ويضحكون، يلهون ويلعبون، وأحيانًا يرقصون طربًا، فما هذه إلا رقصات الطير المذبوح. فالقلب من الداخل حزين مثقل بالهموم. وعندما يأوي الإنسان إلى فراشه، تنتابه كوابيس الليل ومخاوفه، ويقرّ في قرارة نفسه بأنّ مظاهر الفرح ليست سوى تمثيليات خارجية. كم من ليلة تبلّل فراشك بالدموع ويلفّك الحزن، وتشعر بأنك تودّ فعلاً لو تحصل على السعادة الحقيقية، ولا تجدها.

حقَّ ليسوع البكاء إزاء ما فعلته الخطية بالإنسان. فهو رغم المال الكثير والصحة الممتازة، ووسائل العيش المتنوعة وإمكانية اللهو والمرح، يعيش حالة من الفراغ الداخلي الرهيب. لأنّ كل هذه لا تملأ فراغ القلب، أو تبلسم الجراح أو تمنع الأحزان. كم من قلوب محطّمة وعائلات مفكّكة ومجتمعات بائسة في هذه الأيام.

بكى يسوع عند قبر لعازر، إذ رأى كيف أنّ الموت هو سيّد الموقف، فيما قصد يسوع أن يكون للإنسان حياة أبدية. فمهما تعظّم الإنسان وتكبّر وتجبّر فالموت يتحكّم به. هل هذه هي الحياة التي يركض وراءها الإنسان ويتعب ويجاهد ويتألّم، ونهايتها قبر مظلم. حياة تقصفها يد الموت الباردة، فلا توفّر كبيرًا أو صغيرًا، تأخذ الوالد المعيل وتترك أيتامًا وأرامل. تمتد إلى الولد الصغير ضحكة البيت، فتترك وراءها أمًّا مفجوعة. هذا ما فعلته الخطية: يا آدم «يوم تأكل منها موتًا تموت» (تكوين ٢:١٧)، يوم تعصى يا آدم، يوم تستخفّ بالوصايا الإلهية موتًا تموت. وأكل آدم وأخطأ وسقط ومات. وهكذا، كما يقول الكتاب المقدس: «كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع» (رومية ٥:١٢).

وما دامت هذه الحياة مجبولة بالموت، وما دام الموت يضفي بظلاله على كل ما في هذه الحياة، فهي بعيدة عن الفرح والسلام. ومهما حاول الإنسان أن يُبعد عنه شبح الموت كي لا يقضّ هذا الفكر مضجعه، تبقى الحقيقة كما علّمهاالكتاب المقدس: «وُضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عبرانيين ٩:٢٧).

بكى يسوع لأنه رأى الحزن بدل السرور، والبكاء بدل الضحك، والموت سيد الموقف. لأجل ذلك قال: «وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠:١٠). لا نستطيع أن نتخلّص من الموت الجسدي، لكن بإمكاننا أن نتخلّص من الموت الروحي، الموت الأبدي في الجحيم. جاء يسوع لكي يعطينا الحياة الأبدية. نقبل يسوع رب الحياة فنحصل على الحياة الأبدية.

٢ • **بكى يسوع أمام أورشليم**. بكى عندما رأى ما ستفعله الخطية. اقترب من أورشليم المدينة العظيمة ونظر إليها وبكى. لماذا تبكي يا يسوع والمدينة في عيدها الكبير، في هرجها ومرجها. أفراح ورقص وشرب وأصحاب واحتفالات، ومناسبات اجتماعية تجمع الأحباء والرفاق جماعات جماعات، يلهون ويفرحون؟ لأنّ يسوع يتطّلع إلى ما هو أبعد، فهو لا يُخدَع بالمظاهر. نظر إلى المستقبل، فرأى ما ستفعله الخطية، لأنّ الخطية لا تمرّ من دون عقاب. يقول الكتاب المقدس: «افرح أيها الشاب في حداثتك، ولَيسُرَّك قلبُك في أيام شبابك، واسلك في طرق قلبك وبمرأى عينيك، واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة» (جامعة ١١:٩). بكى يسوع، لأنه رأى غضب الله الذي سينسكب على هذه المدينة: «فإنه ستأتي أيام، ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويُحْدِقون بك ويحاصرونك من كل جهة. ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجرًا على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك» (لوقا ١٩:٤٣ و٤٤).

يسوع يبكي، ونحن لا نشعر بشيء. نشعر بأنّ كل شيء على ما يرام. لا نشعر بحاجتنا إلى التوبة والإيمان. لا نشعر بحاجتنا إلى الرب وإلى معرفة مشيئته في حياتنا.

بكى يسوع على أورشليم لأنها لم تعرف ما هو لخيرها وسلامها: «لو علمت أنت أيضًا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك» (لوقا ١٩:٤٢). يبكي يسوع في هذه الأيام على مجتمعاتنا، وعلى أفراحنا الآنيّة التي تخفي وراءها المآسي والآلام. على هرجنا ومرجنا في ساحات الخطية والشرور. يلعب الناس لعبة النار وهم يضجّون ويضحكون، غير آبهين للعواقب. يظنّون أنهم في طريق الخير والسلام ولا يعلمون أنّ الكتاب المقدس يقول: «ليس سلام قال إلهي للأشرار» (إشعياء ٥٧:٢١). لا سلام مع الخطية، لأن الخطية تُغضِب الله. كلمة الله واضحة وصريحة في هذا المجال فتقول: «فمن أراد أن يكون محبًّا للعالم فقد صار عدوًا لله» (يعقوب ٤:٤). لذلك يحذّرنا الكتاب المقدس بالقول: «قبّلوا الإبن لئلا يغضب... لأنه عن قليل يتّقد غضبه» (مزمور ٢:١٢). أي قبّلوا الابن قبلة المصالحة. أسرع وتصالح مع الله قبل أن يسكب غضبه.

بكى يسوع على أورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها. «يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا» (لوقا ١٣:٣٤ و٣٥). قدّم لها يسوع إمكانية التوبة والرجوع وقبول الخلاص. أحبّها وبذل نفسه لأجلها. أراد أن يساعدها ويجمع أولادها تحت كنف رحمته ونعمته الإلهية، ولكنها

رفضت. فهل نشكر الرب لأننا ما زلنا في زمن الافتقاد والرحمة؟ وهل نسرع إليه ونحتمي في ظلال النعمة؟

٣ • **بكى يسوع في جثسيماني**. بكى يسوع لكي يخلّص الإنسان ممّا فعلته الخطية وممّا ستفعله. بكى وصارع وجاهد، وكان عَرَقُه يتساقط على الأرض كقطرات دم، من أجلي ومن أجلك. كان يرى كأس المرارة والألم التي وُضِعَت فيها خطايا جميع البشر، وكان عليه أن يشربها حتى آخر نقطة، ويتحمّل قصاص خطايانا في جسده على الصليب. البار القدوس الذي لم يفعل خطية، «صار خطيّة لأجلنا، وحمل خطايانا». «كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إشعياء ٥٣: ٦). وجب عليه أن يحمل قصاص أبديتنا كلها في عذاب مكثّف، عبر الساعات القليلة التي قضاها على الصليب. رأى أنّ الآب حجب وجهه عنه لأنه لا يطيق منظر الخطية. كأس مُرّة طلب بجهاد ولجاجة لو تعبر عنه. آلام نفسية رهيبة أثقلت نفسه، إذ سيحمل عار الصليب، وهَوان الصليب، وحقارة الصليب، وآلام الصليب، وهو الإله العظيم الممجّد. شعر أنه انسحق أمام كل هذه الآلام النفسيّة حتى الموت، فصرخ شديدًا وبكى وتضرّع «للقادر أن يخلّصه من الموت» (عبرانيين ٥: ٧). حاول أن يُبعد عنه كأس اللعنة، فهو المبارك الذي يبارك، سيكون لعنة عندما يُعلّق على الصليب. لأنه مكتوب في الكتاب المقدس: «ملعون كل من علّق على خشبة» (غلاطية ٣: ١٣). كانت الفكرة صعبة والمنظر مؤلمًا، فبكى يسوع لكي لا تبكي في الجحيم إلى أبد الآبدين. بكى يسوع لأنه يريد أن يمسح دموعك ويعطيك أفراحًا

أبدية. «سأراكم أيضًا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يوحنا ١٦:٢٢).

لماذا نبكي ويسوع بكى عنا؟ لماذا نبقى في الخطية ويسوع دفع ثمن آلام الخطية في جسده على الخشبة؟ اليوم هو زمن الافتقاد الإلهي، فهل نعرف ما هو لسلامنا ونسرع إلى الرب ونطلب الرحمة والخلاص والحياة الأبدية؟